

مقدمة:

يعد المخطوط عنصراً هاماً من التراث الذي أنتجته الأمة العربية والإسلامية في جميع أنواع المعرفة الإنسانية من تاريخ وجغرافيا، طب وأدب، الكيمياء والفلك، رياضيات وغيرها من العلوم فالمخطوطات جزء من تراث الأمة ووثيقة تدل على وجودها الحضاري، وأصبح بذلك المخطوط هو تراث الأمة الذي يحدد مكانة أي أمة في العالم بأسره، ويحدد لها أيضاً مسيرتها وهويتها في الوجود الإنساني، ومن خلاله أيضاً تتعرف الأجيال على تاريخ أمتها ومدى عراقة تاريخ حضارتهم، ولهذا أضحت الاهتمام بالمخطوطات وصيانتها يدلان على حرص الأمة على صون تاريخها وعراقتها.

في هذه المداخلة نحاول التعرض إلى أهم أبعاد علم المخطوطات حيث نسلط الضوء على التعريف بصناعة المخطوط العربي الإسلامي، وهجرة المخطوط من مكان إلى آخر وأسبابها، مع الإشارة إلى أهم المصطلحات التي لها علاقة بالمخطوط، إضافة إلى المخاطر التي تصيب المخطوط والتي حصرناها في المخاطر الطبيعية والكيميائية والعامل البشري "الإنسان"، كما نتناول في هذه المداخلة في كيفية حفظ المخطوط وصيانتها باستعمال المعالجات الكيميائية، كما أننا سننوه إلى أهمية التجليد وذلك من خلال إبراز نشأته وطرقه والمواد التي تدخل في عملية تجليد المخطوطات، وماهي مراحل ترميم وإصلاح جلد المخطوط.

وتهدف هذه المداخلة إلى إبراز أهمية المخطوطات في بناء صرح هذه الأمة ودور علماء الأمة العربية والإسلامية في صيانة المخطوطات وترميمها، كما أن الدراسة تهدف أيضاً إلى التعريف بعلم المخطوطات والتأسيس له، من أجل إرشاد الطلبة إلى السعي لحفظ تراث أمتهم من الضياع، وهذا لكون العديد من المخطوطات لم تحقق إلى يومنا هذا بالرغم من قيمتها العلمية.

1. التعريف بعلم المخطوطات:

يصعب على المشغلين في البحث العلمي المتعلق بالمخطوطات وتحقيقها في الوقت الراهن تحديد ما يطلق عليه الآن "بعلم المخطوط" وتحديد تعريفاً دقيقاً به وبأهم عناصره وحدوده، وهذا بالرغم من الكم الهائل من التعريفات العديدة المتناثرة في مختلف الدراسات الأكاديمية سواء كانت كتباً أو أبحاثاً منشورة في الدوريات المتخصصة أو رسائل ماجستير ودكتوراه، ولعل هذا يرجع إلى كون أن هذا العلم لا يزال في طور التأسيس ومن الطبيعي أن تختلف الآراء وتتعدد المواقف بين أهل الاختصاص في تحديد تعريف له وما هي حدوده ومجالاته وطرق تناوله إلى جانب مناهجه والعمل بها، بالرغم من أن المستشرقون في بداية القرن التاسع عشر ميلادي قاموا بوضع قواعد علمية جعلوا منها علماً له منهجية خاصة به سعوا من خلاله إلى تحقيق المخطوطات

ونشرها، حيث قاموا بتحقيق العديد من المخطوطات العربية والإسلامية ونشرها، وهذا لا يعني أن علماء المسلمون قديماً لم يعتنوا بالمخطوطات ولم تكن لهم قواعد خاصة بهذا العلم، فقد اهتموا بضبط النصوص وتوثيقها، ووضعوا لكل نسخة رمزا خاصا بها.⁽¹⁾

أ- المخطوط:

هو كتاب لم يتم طبعه بعد ولا يزال بخط مؤلفه أو بخط ناسخ غيره، أو أخذت منه صورة فوتوغرافية أو مصورا بالميكرو فيلم عن مخطوط أصلي، ومن الناحية الشكلية للمخطوط فهو يتضمن صفحة العنوان وهي ما يعرف الآن بواجهة أو غلاف الكتاب المطبوع، فالعرب قديماً لم يكونوا يعبرون اهتماماً بوضع العنوان في الواجهة بل كان غالباً في مقدمة الكتاب أو نهايته من عمله، وكانت الصفحة الأولى تترك بيضاء⁽²⁾، وقد أطلقت كلمة مخطوط في الولايات المتحدة الأمريكية على كل المواد التي كتبت بواسطة اليد على الألواح الطينية والأحجار، ويشمل أغلب مخطوطات العصور الوسطى وعصر النهضة والمخطوطات الحديثة التي تضم تخصصات عديدة كالآداب والتاريخ إلى جانب الأوراق الخاصة وسجلات المؤسسات⁽³⁾، غير أنه يوجد العديد من التعريفات لهذه المصطلح ونذكر منها تعريف بول أوتليه والذي يعرف المخطوط بأنه "دعامة من مادة وحجم معين قد يكون من طبقة أو لفة معينة تنقل عليها رموز تمثل محصولاً فكرياً"⁽⁴⁾

ويرى عبد الستار الحلوجي أنه يمكننا أن نطلق على كل مادة مكتوبة أو منقوشة على حجر مخطوطاً إذا كانت مكتوبة بالخط العربي سواء أكان على شكل لفائف أو في شكل صحف ضم بعضها إلى بعض وتم جمعها ضمن كراريس أو دفاتر، وبهذا التعريف يكون قد أخرج الرسائل والمواثيق والعهود والصكوك، فهو يستبعد ما من خلال هذا التعريف من أن تكون مخطوطاً عربياً⁽⁵⁾، كما يعتقد آخرون أن المخطوط هو ما وصل إلينا من مؤلفات ومصنفات كتبت بيد صاحبها أو بخط أحد النساخ قبل أن تكتشف آلة الطباعة في العصر الحديث، وفي مقابل ذلك حيث أنه ليس هناك أي حدود معينة لتاريخ أي التراث، فكل ما خلفه مؤلفاً يعد رصيلاً تراثياً وفكرياً له مقداره العلمي⁽⁶⁾ ولعلنا وجدنا من ينقض هذا الرأي وهو ما ذهب إليه أحمد شوقي بنين أن لفظ مخطوط حديث في اللغة العربية، وظهر مع ظهور الكتاب المطبوع، أما قبل ذلك فكان يطلق عليه

(1) أيمن فؤاد السيد: الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، الدار المصرية اللبنانية، مصر، 1992، ص 42.

(2) فهمي سعد، طلال مجذوب: تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، عالم الكتب، لبنان، 1993، ص 13-14.

(3) محمد حديون: فن صيانة المخطوطات وترميمها، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد الأول، ديسمبر، المركز الجامعي

غرداية، 2006، ص 207.

(4) ميري عبودي فتوح: فهرسة المخطوط العربي، دار الرشيد للنشر، بغداد، العراق، 1980، ص 09.

(5) عبد الستار الحلوجي: المخطوط العربي منذ نشأته إلى نهاية القرن الرابع الهجري، ط 2، مكتبة مصباح، السعودية، 1989، ص 09.

(6) عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان: تحقيق المخطوطات بين الواقع والتمهيد، مكتبة الملك الفهد الوطنية، 1994، ص 39.

أسماء متعددة مثل تأليف ومؤلفات، كتب الأصول، الكتب والأمهات، أو الكتب الأساسية، لأنها كانت تحتوي أساسيات العلم.⁽¹⁾

أما أرشيد يوسف فقد كان لتعريفه للمخطوط بأنه " النسخة الأصلية التي كتبها المؤلف بخط يده وباللغة العربية، أو سمح بكتابتها، أو أقرها، أو ما نسخه الوراقون بعد ذلك في نسخ أخرى منقولة عن الأصل، أو نسخ غير أصلية وينطبق ذلك على النسخ المصورة عن أصل المخطوط "⁽²⁾ ولعل من أهم الانتقادات التي وجهت لهذا التعريف هو أن صاحبة إقتصر فقط على المخطوطات العربية إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن من بين العلماء المسلمون الذين ليست لهم أصول عربية وكتبوا بلغات غير العربية كالفارسية والأردية والتركية القديمة، ولهذا نجد أن مصطفى السيد لمج نهما مغايراً في تعريفه للمخطوط حيث كان أشمل وملماً لمجالات وتخصصات أخرى حيث يرى أن المخطوط هو كل ما كتب بخط اليد سواء كان رسالة أو وثيقة أو عهداً أو كتاباً أو نقشاً على حجر أو رسماً على قماش سواء كان باللغة العربية وبلغة أخرى غير العربية⁽³⁾

غير أن الحديث عن تعريفات متعددة للمخطوط يجرنا إلى التعريف على مكوناته وبشكل مختصر حتى يتسنى لنا الإلمام بالمخطوط من الناحية البنيوية والتركيبية وهذا لكون المخطوط يمثل وحدة تاريخية كاملة، يحمل بين سطوره حياة أجيال سابقة، ممثلة في نوعيات أوراقه وأجباره وفنون تجليده وغيرها من خصائص عصر كتابته، لذلك فالحفاظ على المخطوط أو بمعنى أشمل التراث المخطوط واجب قومي يحرص عليه الفرد وتحرس عليها الجمعيات والمجتمع المدني المتخصص في جمع المخطوط وتراثه، ومن هنا كان لا بد إدراج والتنويه بأهمية التعرف على حقيقة مكونات المخطوط وتفهم العوامل البيئية المؤثرة على هذا التكوين من أجل صيانة المخطوط والحفاظ على أثره باعتباره أمة للماضي والحاضر والمستقبل، وبصفة عامة يمكن إجمال مكونات المخطوط في:

- مواد كربوهيدراتية: ممثلة في الأوراق، والبرديات، واللواصق النشوية.

- مواد بروتينية: ممثلة في الرق والجلد واللواصق الغروية.

- مواد يكتب منها: ممثلة في الأحبار.⁽⁴⁾

2- المخاطر التي تهدد تراث المخطوط:

إن الهواء الجوي الذي يتكون من مجموعة من غازات متعددة يعتبر المتهم الأول والمسؤول عن كثير من التلف التي تتعرض له مكونات المخطوط، ومنها الورق والجلود، وهي المواد التي تتكون منها الكتب الوثائق، سواء كانت مطبوعة أو مخطوطة، خاصة في المدن الصناعية أين تنبعث غازات ضارة حيث يكون التأثير

⁽¹⁾ عبد الستار الحلوجي: المرجع السابق، ص 39.

⁽²⁾ يوسف أرشيد: الكتاب الإسلامي المخطوط تدويناً وتحقيقاً، مطابع المؤسسة الصحفية الأردنية، دتا، ص 72.

⁽³⁾ مصطفى السيد يوسف: العلم وصيانة المخطوطات، عكاظ للنشر والتوزيع، السعودية، 1984، ص 15.

⁽⁴⁾ أنظر حاك لومير: مدخل إلى علم المخطوط، تر: مصطفى طوبى، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، المغرب، 2006، ص 20.

في هذه الحالة أقوى وأسرع، بالإضافة إلى التغيرات التي تحدث في نسبة الحرارة والرطوبة، والإشعاعات الضوئية، مما يزيد تكاثر الجراثيم والفطريات، وبويضات الحشرات، وما ينتج عن ذلك كله هو تآكل الأوراق والجلود، وتعرضها للتلف والضرر، والذي يظهر بأشكال وصور مختلفة نذكر منها:

- 1- جفاف الأوراق، وتقصف أطرافها.
 - 2- انتشار بقع لونية كيميائية وبيولوجية على الصفحات والأغلفة.
 - 3- التصاق الأوراق ببعضها، وبالتالي تحجر المخطوط.
 - 4- تآكل الأوراق تحت أحرف الكتابة.
 - 5- انتشار الثقوب على الأوراق.
 - 6- بهتان لون الحبر ومواد الكتابة الأخرى.
 - 7- إلتواء وانكماش الأغلفة، وبالذات الجلدية منها، خاصة إذا صاحبة ارتفاع نسبة الرطوبة ارتفاع مفاجئ في درجة الحرارة.
 - 8- تفتت وهشاشة الكعب.
 - 9- تصلب أو تحجر الأغلفة.⁽¹⁾
- وهناك عوامل تلعب دورا مؤثرا في تلف الوثائق والكتب المخطوطة والمطبوعة، والجلود يمكننا استعراض أهمها وتصنيفها كما هو مبين في العناوين التالية.

1.2 العوامل الكيميائية:

تمتاز المخطوطات والوثائق من أسرع المواد العضوية المعرضة للملوثات الكيميائية التي يحملها الهواء مما ينتج عن إصابتها بالأحماض والتي تشكل تهديدا خطيرا على المخطوطات والوثائق التي تعرضها للتلف والضرر ولعل من أهم الملوثات الكيميائية الضار نذكر بإيجاز ما يلي:

1-2-1⁽¹⁾ غاز ثاني أكسيد الكبريت:

ويتكون هذا الغاز في الجو بسبب احتراق الفحم، ووقود المصانع، ودخان السيارات وآلات التدفئة، حيث يكون تأثير هذا الغاز أقوى وأسرع خاصة إذا وجدت نسبة مرتفعة من الرطوبة في الجو.

1-2-2⁽²⁾ الغبار والأتربة:

يحمل الجو حبيبات دقيقة وخفيفة جدا، تلتصق على أغلفة الكتب، وتنتشر داخل صفحات المخطوط، مصحوبة بجراثيم الفطريات، وبويضات الحشرات التي تنمو بشكل كبير وسريع، خاصة إذا توافر

⁽¹⁾ مصطفى السيد يوسف: العلم وصيانة المخطوطات، المرجع السابق، ص 69.

عاملين في الجو وهما الرطوبة والحرارة، والذين يساعدانها في النمو بشكل سريع، مما ينتج عن ذلك إصابة الوثائق والمخطوطات بالأضرار التي قد يصعب إصلاحها.⁽¹⁾

2-2 العوامل الطبيعية:
إن التغيرات المناخية والتي من بين أشكالها ارتفاع أو انخفاض درجة الحرارة، ونسبة الرطوبة الرطوبة، والإشعاعات الضوئية الطبيعية منها والصناعية، كل هذا له تأثيرات جانبية مضرّة على أوراق وجلود المخطوط، ويزيد تأثيرها هذه العوامل إذا كانت بنسب مرتفعة.

2-2-1 الحرارة والرطوبة:

إن ارتفاع درجة الحرارة أو انخفاضها بنسب كبيرة يؤثر تأثيراً سلبياً على الورق والجلود، وقد يسبب لها أضرار جسيمة يتعذر في كثير من الأحيان إصلاحها وعلاجها، بالإضافة لذلك نجد أن المواد اللاصقة المستعملة في تجليد المخطوطات كالغراء مثلاً، تفقد قوتها وتماسكها بسبب ارتفاع درجة الحرارة، والرطوبة مثل الحرارة والتي هي عبارة عن كمية من بخار الماء الموجود عند درجة حرارة معينة غير أنه إذا توفر درجة معينة من الرطوبة مدروسة علمياً ستعمل بشكل مفيد لحفظ المخطوطة الأوراق والجلود.⁽²⁾

2-2-2 الضوء:

يعد الضوء من العوامل التي تسبب أضرار جسيمة على الكتب والوثائق، لكنه ليس بنفس القوة والسرعة التي تحدثها الغازات الملوثة التي تحدثنا عليها سابقاً، أو حتى بالنسبة لعاملتي درجة الحرارة والرطوبة، غير أن تعرض تراث المخطوط للضوء ولمدة طويلة يفقدها قوتها ويضعف مقاومة خواص المخطوطات ولهذا ينصح خبراء المخطوطات بالحد من الإضاءة، من أجل تعطيل التفاعلات الضوئية الكيميائية⁽³⁾ غير أن تأثير الضوء يتوقف على عوامل أخرى من أهمها:

- قوة الإضاءة وطول مدتها.
- سماكة الورق وكثافته.

⁽¹⁾ عبد العزيز بن محمد مسفر: المخطوط العربي وشيء من قضاياه، دار المريح للنشر والتوزيع، السعودية، 1999، ص 116-117.

⁽²⁾ أنظر شاهين عبد العزيز: الأسس العلمية لعلاج وترميم وصيانة الكتب والمخطوطات والوثائق التاريخية، الهيئة العامة المصرية للكتاب، مصر، 1990، ص 20.

⁽³⁾ مصطفى السيد يوسف: العلم وصيانة المخطوطات، المرجع السابق، ص 78.

- تركيب الهواء المحيط بالورق من كمية غاز الأكسجين وغازات التلوث إلى جانب درجة الحرارة.
- المركبات الغير السليولوزية الموجودة في الورق.
- المواد المضافة إلى الورق مثل المركبات المعدنية الملونة، أو المواد الحمضية أو القلوية المستخدمة في صناعة الورق، أو في علاجه وترميمه.⁽¹⁾

2-3) العوامل البيولوجية:

تعتبر الكائنات الحية سواء المرئية منها والمتعلقة بالحشرات والقوارض، أو دقيقة لا ترى بالعين المجرة كالفطريات والبكتيريا من أخطر التهديدات في حياة المخطوط، حيث تقوم بمهاجمة الكتب والوثائق وتدمرها خاصة مع توفر جو مناخي ملائم لانتشارها وتكاثرها في المخازن والمكتبات ابتي يتم فيها حفظ المخطوطات الأثرية، ولعل من أهم الكائنات الحية التي تهدد بشكل خطير المخطوط هي الحيوانات القارضة مثل الفئران والجراد على وجه الخصوص، ولذلك يحرص المهتمين بالمخطوطات على عدم التهاون في القضاء عليها وإبادتها بشتى الطرق لمنع انتشارها، وتكاثرها في المخازن والمكتبات ابتي يتم فيها حفظ المخطوطات الأثرية، ولعل من أهم الكائنات الحية التي تهدد بشكل خطير المخطوط هي الحيوانات القارضة مثل الفئران والجراد على وجه الخصوص، ولذلك يحرص المهتمين بالمخطوطات على عدم التهاون في القضاء عليها وإبادتها بشتى الطرق لمنع انتشارها.

والإنسان هو الآخر من المتهمين بإلحاق الضرر على المخطوط، ويتم هذا بصور متعددة من بينها:

- 1- إمساك المخطوطات الأثرية بأيدي مبللة أثناء التصفح، أو غير نظيفة مما ينتج عنه التصاق أوساخ واضحة للعيان تشبه البقع وهي التي تكون سببا في إصابتها بالفطريات المحللة للورق والجلود.
- 2- إضافة علامات أثناء القراءة وثنى بعض الأوراق مما يعرضها لكسر وبالتالي احتمال فقدان بعض أجزاء الورق.
- 3- المدخنين من الباحثين يسهم بشكل كبير بإتلاف المخطوط حيث تمتص أوراق المخطوط نسبة من الدخان الجوي فترتفع من جرائها نسبة الأحماض المتلفة للورق.
- 4- تتعرض بعض المخطوطات إلى التقوس والاعوجاج جراء جهل بعض العاملين في المخازن بطريقة وضعها بشكل مناسب في الأرفف.

(1) شاهين عبد العز: المرجع السابق، ص 16.

5- عدم الالتزام بالمعايير اللازمة في درجة الحرارة ونسبة الرطوبة وقوة الأشعة الضوئية مما يعرض الكتب والوثائق لأضرار جسيمة.⁽¹⁾

3 حفظ وصيانة المخطوطات العربية: الوسائل والعلاج
إن حفظ وصيانة المخطوطات الأثرية بمختلف علومها، ومهما كان المادة المصنوعة منها لا يقتصر فقط على إجراءات المعالجة والترميم فحسب بل يتعدى هذا الأمر ليشمل على تهيئة الأوضاع المناسبة لسلامتها والحفاظ عليها.

وللمحافظة على المخطوطات والوثائق ينصح بإتباع الإجراءات التالية:

1. وجوب إجراء فحص دوري متكامل على المخطوطات والوثائق، وعلى الوجه الخصوص الأجزاء الداخلية منها للتأكد من سلامتها وغير متعرضة لأي من الأضرار مهما كان نوعها، ويمكن أن يتم هذا أثناء عملية التنظيف، وفي هذه الحالة ينصح الخبراء بنقل هذه لمخطوطات الأثرية من أماكنها إلى أماكن متعرضة للتهوية بشكل جيد، ومن ثم يتم إجراء التنظيف لها شريطة أن لا يشكل تنقل المخطوط من مكان إلى آخر للضرر للمخطوط سواء بالسرقة أو الإهمال أو الضياع وهذا يعني أن يكون القائمون على الكشف الدوري مركزين في عملهم وجادين إلى أبعد الحدود وإعادة المخطوطة إلى مكانها الأصلي فور الانتهاء من عملية التنظيف.
2. العمل على عزل المخطوطات التي تعرضت لإصابة بالفطريات وغيرها من الحشرات والآفات عن المخطوطات والوثائق السليمة، والإسراع بمعالجتها فور اكتشاف الضرر حتى لا يتطور التلف والضرر الذي أحاط بالمخطوط، ثم توضع بعد هذه المعالجة ولفترة من الزمن في مكان خاص بعيد عن المخطوطات والوثائق السليمة، فإذا تم التحقق التام بشفائها وإصلاح الضرر الذي أحاط بها، وخلوها من الإصابات بشكل كامل فإنه بعد هذا إعادة إلى مكانها الأصلي.⁽²⁾

4 وسائل صيانة المخطوطات:

1-4 وسائل تقضي على التلوث الجوي:

- النظافة الدورية للمخازن باستعمال ماكينات دورها يتمثل في تنظيف ونزع ذرات الأتربة وما يتعلق من مواد ضارة، وخاصة أرضيات المخازن.
- منع التدخين لأنه يلوث الجو بصورة بيرة مما يؤدي بامتصاص أوراق المخطوط له، ولهذا فهو ممنوع منعاً باتاً داخل المخازن وصلات القراءة.
- التخلص من الغازات السامة وذلك باستخدام مرشحات مائية لإمرار الهواء النقي.

(1) عبد العزيز بن محمد مسفر: المرجع السابق، ص 116-120.

(2) عبد العزيز بن محمد مسفر: المرجع السابق، ص 121.

- وضع المخطوطات في خزائن محكمة الإغلاق لمنع وصول الحشرات والفطريات إليها خاصة في المناطق الساحلية التي ترتفع فيها نسبة الرطوبة.
- التحكم في عوامل البيئة الطبيعية مثل نسبة درجة الحرارة والرطوبة، ومقادير الأشعة الضوئية، وفي جميع الحالات يجب ألا يزيد تركيز الغازات الملوثة للحو عن 50 ميكروجرام لكل متر مكعب في الجو المحيط بالمخطوط⁽¹⁾.

(2-4) وسائل مقاومة الحشرات بأنواعها وطرق إبادتها:

- عندما يتأكد الباحثين والقائمين على حفظ المخطوطات في المخازن بوجود حشرات أثناء تفتيشهم الدوري، فإنه يجب عليهم وبصورة سريعة مقاومتها ولعل من أهمها الوسائل المتوفرة لهذه العملية نذكر ما يلي:
- مراعاة النظافة التامة مع المحافظة على نظام التهوية السليم والذي يكون بنسب علمية دقيقة.
- رش المخازن بالمبيدات المناسبة من أجل تعقيمها كلياً، وهذا لقتل الحشرات والآفات والقضاء عليها، مع الإشارة إلى أمر مهم وهو ضرورة غلق المخازن بعد رش هذه المبيدات لمدة لا تقل عن 24 ساعة، ويفضل أن تتم هذه العملية في نهاية الدوام عمال المخزن، مع التنويه أن يكون التعقيم بشكل دوري كل ثلاث أشهر⁽²⁾.

(5) ترميم المخطوطات: الأبعاد والعلاج

إن المفهوم العام لترميم الجلود يعني ترميم المخطوط بأجزائها المختلفة من الكعب والوجهين الأمامي والخلفي وخطوط الاتصال بين الوجهين واللسان والكرتون المؤلف لهذه الجلود، وهو بشكل عام إصلاح لإعادة تجليد وتقوية المخطوط مع المحافظة على أثره وقدمه وكل ما يتعلق بزخارفه ونقوشه التي تتكلم على خصائص عصر كتابته وتاريخ مؤلفه والصورة العامة للحضارة حينئذ⁽³⁾.

والترميم عبارة عن عملية تكنولوجية جد دقيقة تأخذ طابع العالمية وهي في الوقت نفسه تعد عملية فنية ذوقية وجمالية تحتاج إلى إحساس العامل بها ورغبة قوية أثناء تأديتها، وهي بتعبير آخر عملية علاج لأثر المسن في محاولة لإزالة بصمات الزمن ومظاهره المتعددة مثل الكسور والتشققات والثقوب وأحياناً كثيرة اختفاء أجزاء معينة تختلف في حجمها أو مساحتها⁽⁴⁾.

(1) مصطفى السيد يوسف: صيانة المخطوطات علماً وعملاً، عالم الكتب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2002، ص 85.

(2) عبد العزيز بن محمد مسفر: المرجع السابق، ص 122-123، أنظر أيضاً أنطونيو ميرايل: العناية بالمخطوطات وطريقة تناولها، كتيب

عن حماية التراث رقم 2، باريس، اليونيسكو، 2006.

(3) بسام داغستاني: ترميم الجلود ومعالجتها، مقالة في الدورة التدريبية الدولية الثانية بعنوان صناعة المخطوط العربي الإسلامي من الترميم إلى التجليد، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، دبي، 2001، ص 478.

(4) شاهين عبد العز: المرجع السابق، ص 7⁰.

في الحقيقة لا يسعنا في هذه المداخلة الموجزة للتطرق وبشكل مفصل في كيفية معالجة وترميم المخطوطات الأثرية، وهذا لكون هذا الأمر يحتاج منا إلى المزيد من البحث والتقصي والتفصيل في كثير من المراحل، ويحتاج منا إلى دراسات مستفيضة، خاصة إذا وضعنا في عين الاعتبار أن هذه العملية لديها جانب كبير من العلمية الأمر الذي يتطلب منا الكثير من الجهد والوقت، وإلى المزيد من الخبرة الميدانية، غير أننا سنحاول في العنوان التالي، وبشكل مختصر وغير مغل من الناحية الأكاديمية العمليات الأساسية لعلاج وترميم الوثائق والمخطوطات، والأغلفة الجلدية، حيث أن هذه العملية يطلب فيها مختصين وخبراء لديهم خبرة كافية في هذا المجال. (1).

1-5) التنظيف:

والتنظيف يرجى منه تخلص الأوراق والجلود مما يكون قد علق بها من أوساخ كالأتربة وآثار الأقلام أو فطريات وبويضات الحشرات.

2-5) إزالة البقع:

إن عملية إزالة البقع يتطلب أولاً تحديد نوع الورق وحالته، ومن ثم تحديد نوع البقع أو الأوساخ، وما هي المواد الكيميائية اللازمة لإصلاح وإزالة البقع المحيطة بالمخطوط.

3-5) إزالة الأحماض الزائدة:

إن زيادة نسبة الحموضة في الأوراق والجلود قد تكون إما نتيجة تركيب الأوراق، ودباغة الجلود، أو بسبب ظروف التخزين أو عن طريق الأحبار المستخدمة في الكتابة، وعدم القضاء على هذه الزيادة قد تعرض المخطط للتآكل والتلف، ويجب أن تكون نسبة درجة الحموضة هي: 8-6 PH.

4-5) فصل الأوراق الملتصقة:

يؤدي التقادم الزمني إلى ضعف مقاومة أوراق الوثائق والمخطوطات، متأثراً بالظروف البيئية، العوامل الجوية، والرطوبة قد تؤدي إلى نمو وتكاثر بعض الكائنات الدقيقة وخاصة الفطريات، مفرزة مواد صمغية لزجة وبقع لونية وأحماض عضوية، ينتج عنها تماسك الأوراق بعضها ببعض والتصاق الصفحات بالجلود ويصبح بالتالي المخطوط قالباً متماسكاً يشبه الحجر ولهذا تسمى هذه الحالة بتحجر المخطوط.

ولعلاج مثل هذه الحالة يجب تعريض الأوراق الملتصقة لكمية من بخار الماء تكفي لتشبعها وتلين المواد اللزجة بينها، ومن ثم يتم فصل الأوراق عن بعضها البعض بتركيز وحذر كبير ومهارة فائقة، ثم تترك هذه الأوراق لكي تجف ووضعها فوق أوراق بيضاء وظيفتها امتصاص الرطوبة الموجودة فيها.

(1) لمزيد من المعلومات حول عملية الترميم أنظر: عبد العزيز بن محمد مسفر: المرجع السابق، ص 123-129. شاهين عبد العزيز: المرجع السابق، ص 23-47. فوزية الكري: كيف نصون مخطوطاتنا، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1998، ص 43-45. مصطفى السيد يوسف: صيانة المخطوطات علماً وعملاً، المرجع السابق، ص 130-141.

5-5) إصلاح التمزقات وإكمال الأجزاء الناقصة:

إن التمزق الذي يحدث للمخطوط أو الثقوب التي تنتشر في ثناياه أو حتى تقصف بعض الأطراف، يتم معالجتها عليها بعجينة لب ورق غير حمضي، أما الأجزاء الناقصة فتستكمل بأوراق تتشابه مع الأوراق القديمة من ناحية خواصها وأحجامها وألوانها.⁽¹⁾

6) التجليد:

عرف العرب فكرة التجليد مع بداية عصر الإسلام، وكان المصحف هو أو كتاب يجلد، وهو إجراء وقائي للصفحات المكتوبة، خوفاً عليه من الضياع والتناثر، ولم يكن هذا الإجراء إلا لوحين من الخشب مثبتين من الخلف بخيط رفيع من ليف النخيل تحفظ بينهما الصفحات المخطوطة للقرآن الكريم، ومع احتكاك الحضارة الإسلامية مع حضارات عديدة حدث تبادل معرفي ومنها مفهوم التجليد الذي يتسع ويتطور ويتغير من عصر إلى عصر، حيث أصبح علماً قائماً بذاته له أسسه المنهجية العلمية والعملية وهو يشتمل على نوعين هما:

أ- يختص هذا النوع بتجليد كافة أنواع المخطوطات العربية والإسلامية بالطريقة القديمة وباستخدام المواد الطبيعية مع الأخذ بعين الاعتبار الزخارف الموجودة على سطح الغلاف، وإعادة من جديد بما يتناسب وتاريخ نسخ المخطوط.

ب- التجليد الفني الحديث:

يختص هذا النوع بتجليد جميع أنواع المطبوعات معتمداً على الطرق الأوربية بكل أشكالها من حيث التنفيذ، ومن حيث المواد المستخدمة.⁽²⁾

أما المواد المستخدمة في التجليد فهي:

كرتون بسمكات كبيرة.

جانب جلد الماعز.

صمغ خاص بتجليد المخطوطات وأفضلها الصمغ النشاء.

خيوط بيضاء وأخرى حريرية.

ورق رخامي لتغليفه من الداخل.

وأما المواد المستخدمة في عمليات التجليد:

نماذج معدنية زخرفية (قوالب).

مكبس معدني.

(1) مصطفى السيد يوسف: صيانة المخطوطات علماً وعملاً، المرجع السابق، ص 145.

(2) سام الداغستاني: فن الترميم صيانة تراث وحفظ أمانة، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية

الشملة، دبي، 2001، ص 15-26.

ملزمة بحشبية.

محف لترقيق الجلاء.

(1) أداة للحفر مختلفة الأشكال والمقاسات.

خاتمة:

إن المخطوط هو تراث الأمة فهو جزء أصيل من كيانها ووجودها، وبإحيائه يمثل هذه الملتقيات التي تجمع العديد من النخبة الباحثين ونشر علومه يتحقق للأمة بمجدها ورقبها بين الحضارات، والملتقيات المسلمة تملك تراثاً ضخماً في مختلف التخصصات المعرفية تركها لنا آباؤنا وأجدادنا العلماء القدماء الذين أبدعوا وتفننوا في كل فن وعلم بشكل كبير، غير أن هذا الكثر العظيم لم يتم إكتشافه كله ولم يصل إلينا منه سوى النذر القليل، وبقي الكثير منه حبيساً في خزائن الكتب الخاصة ولدى العديد من الأشخاص قابع بين أدراجهم ينتظر الدارسين والباحثين في مجال المخطوطات من يزيح عنهم الغبار.

والكتاب العربي المخطوط وبما يمثله من الناحية الفكرية المتطورة، هو نتاج تلك الحضارة التي شهد العالم على عظمتها وسمو مكانتها، ولكن ضعف مكانة الحضارة الإسلامية أدى بها إلى التفكك والانهيار لأسباب عديدة لعل من أبرزها الفتن التي حدثت والتراعات الداخلية والحروب الخارجية والتي كان أكثرها دموية وتشريداً تلك الهجمات التي شنها كل من التتار والمغول من الشرق، والصليبيون من الغرب، حيث دمرت بلاد العرب والمسلمين ونهبت وحرقت تراثهم ولم يبق من تراث المخطوطات إلا القليل مما لم تصل إليه أيديهم الملتطخة بدماء المسلمين والحاكمة على تراثهم.

ولهذا وجب على الجادين من نخبة هذه الأمة في مجال المخطوط إنقاذ ما يمكن إنقاذه من تراث هذه الأمة مع توفير لهم كافة الخدمات بالاطلاع على هذه المخطوطات وتصوير ما يودون البحث عنه بغية التحقيق الأكاديمي المنهجي، مع التعاون والتنسيق بين الجهات والمؤسسات المعتمدة لتبادل المعلومات والخبرات وإلقاء المحاضرات وعقد مؤتمرات وملتقيات في مجال صيانة المخطوطات والحفاظ عليها.

قائمة المراجع:

- 1- أنطونيو ميرابيل: العناية بالمخطوطات وطريقة مناولتها، كتيب عن حماية التراث رقم 2، باريس، اليونيسكو، 2006.

(1) بسام داغستاني: التجليد الإسلامي، مقالة في الدورة التدريبية الدولية الثانية بعنوان صناعة المخطوط العربي الإسلامي من الترميم إلى التجليد، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، دبي، 2001، ص 495. وللمزيد من التفاصيل أنظر فرونسوا درويش: المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، تر: أيمن فؤاد السيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2000، 382-395.

- 2- أيمن فؤاد السيد: الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، الدار المصرية اللبنانية، مصر، 1992.
- 3- حسام الداعقستاني: فن الترميم وصيانة تراث وحفظ أمانة، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، دبي، 2001.
- 4- حسام الداعقستاني: التعليل الإسلامي، مقالة في الدورة التدريبية الدولية الثانية بعنوان صناعة المخطوط العربي الإسلامي من الترميم إلى التعليل، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، دبي، 2001.
- 5- حسام الداعقستاني: ترميم الجلود ومعالجتها، مقالة في الدورة التدريبية الدولية الثانية بعنوان صناعة المخطوط العربي الإسلامي من الترميم إلى التعليل، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، دبي، 2001.
- 6- جاك لومير: مدخل إلى علم المخطوط، تر: مصطفى طوي، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، المغرب، 2006.
- 7- شاهين عبد العز: الأسس العلمية لعلاج وترميم وصيانة الكتب والمخطوطات والوثائق التاريخية، الهيئة العامة المصرية للكتاب، مصر، 1990.
- 8- عبد الستار الحلوجي: المخطوط العربي منذ نشأته إلى نهاية القرن الرابع الهجري، ط2، مكتبة مصباح، السعودية، 1989.
- 9- عبد العزيز بن محمد مسفر: المخطوط العربي وشيء من قضاياه، دار المريح للنشر والتوزيع، السعودية، 1999.
- 10- عبد الله بن عبد الرحيم عسيان: تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، مكتبة الملك الفهد الوطنية، 1994.
- 11- فرونسوا درويش: المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، تر: أيمن فؤاد السيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2000.
- 12- فهمي سعد، طلال مجذوب: تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، عالم الكتب، لبنان، 1993.
- 13- فوزية الكرفي: كيف نصون مخطوطاتنا، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1998.
- 14- محمد حدبون: فن صيانة المخطوطات وترميمها، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد الأول، ديسمبر، المركز الجامعي غرداية، 2006.
- 15- مصطفى السيد يوسف: العلم وصيانة المخطوطات، عكاظ للنشر والتوزيع، السعودية، 1984.
- 16- مصطفى السيد يوسف: صيانة المخطوطات علما وعملا، عالم الكتب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2002.
- 17- ميري عبودي فتوح: فهرسة المخطوط العربي، دار الرشيد للنشر، بغداد، العراق، دتا.
- 18- يوسف أرشيد: الكتاب الإسلامي المخطوط تدويناً وتحقيقاً، مطابع المؤسسة الصحفية الأردنية، دتا.